آيـة التوجـه إلى القبلـة
"دراسة تحليلية دلالية"

د. خلدون سعود القرالة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٨/٢/١٨م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/٨/٢٨م

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تجلية مفهوم الوسطية في الإسلام، وبيان خيرية هذه الأمة، المتمثلة بشهادتها على الناس، وشهادة الرسول ﷺ عليها، وما نوع الشهادة من الناس ومن الرسول عند الله يوم القيامة.

ثم تنتقل الدراسة إلى المحور الأهم في هذا البحث وهو إيراد أقوال العلماء في تحويل القبلة، وبيان الحِكَم المقصودة من هذا التحويل. وما الابتلاءات والاختبارات التي وقعت من خلال تحويل القبلة المشرفة. وهذه المعاني تتضح من خلال السياق القرآني الذي تحدث عنها من الآية رقم ١٤٢-١٥٠، من سورة البقرة. ولكن الباحث سيخص الآيات رقم: (١٤٢ و١٤٣ و١٤٤) بالتفسير التحليلي؛ لأنها مدار الحديث بين العلماء في تحديد القبلة الأولى من الثانية.

Abstract

This study aims to exhibit the concept of centrism in Islam, it clarifies the charitable essence of Muslims which is clear in terms of: their testimony upon people, and the witness of prophet Mohammad, peace be upon him, as well and, finally, what the type of the accepted testimony of people and prophet Muhammad, that will be told to God on the Day of Resurrection.

Then the study moves to the most important point in this research, which is the mention the scientists sayings about the Change of Qibla, and clarify the purposed intellect of this Change, and what are the ordeals and the trails that could happen through the Change of Holy Qibla. Those meanings are clarified by the Quranic context in the Qurainc verses 142-150 of Albaqara, but the researcher will focus on The verses 142, 143, 144 by this Analytical interpretation, because it's the main subject the scientists to help them to determine the first Qiblah from the second.

المقدمة.

الحمد لله المنان الذي امتن علينا بالقرآن المعجزة المستمرة على تعاقب الأزمان، ويسره للذكر فقال: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[القمر: ١٧]، وضمن لنا حفظه فقال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر: ٩]، أحمده سبحانه على هذه النعمة العظيمة، وأصلي وأسلم على خير خلق الله أجمعين، سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن هذا الكتاب جاء بمنهج الوسطية والاعتدال، وربّى أجيالاً عظيمة في فكرها راسخة في إيمانها، ثم خلف من

* باحث.

بعدهم خلف حق عليهم قول رب العالمين: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

إن وسطية الإسلام مرتبطة ارتباطا وثيقاً بكل شعائره من عبادات وأخلاق وغيرها، ومن صور هذا الارتباط ارتباط وسطية الأمة بقبلتها؛ فكما أن قبلة هذه الأمة وسطاً لأنها إلى البيت العتيق الذي هو وسط الأرض وهو بناء إبراهيم عليه السلام هو أوسط الأنبياء وهو مع ذلك خيار البيوت فهو وسط بكل معنى، جعلناكم بالهداية إليه في الاستقبال وإلى غيره مما نأمركم به أمة شريفة خياراً(١).

ومن أعظم الأحداث في تاريخ المسلمين الذي له ارتباط بوسطية الأمة، هو أمر تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام. روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب: "أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه «صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم» فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت، أنكروا ذلك. قال زهير: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣](٢).

وقد جاء الأمر بتحويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة ولا خلاف في ذلك، لكن اختلفوا في أي شهر كان؟ فقيل: في رجب. وحكي ذلك عن الجمهور، منهم ابن إسحاق. وقيل في يوم الثلاثاء نصف شعبان(٣).

ونظراً لأهمية هذا الحدث العظيم وارتباطه بالوسطية، جاء هذا البحث خاصا بدراسة هذه الآيات، لنتعرف من خلالها على حقيقة وسطية الإسلام، وشهادة هذه الأمة على الأمم، وتحرير مسألة تحويل القبلة، وبيان الحكم والاختبارات التي حصلت من خلال هذا التحويل.

وقد حاولت جاهداً بقدر طاقتي، والجهد البشري لا يخلو من النقص، بأن أبحث في هذا الموضوع من خلال تقسيمه إلى مبحثين؛ وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: وسطية هذه الأمة وشهادتها على الأمم، وعلاقة الوسطية بقبلة الأمة.

المطلب الأول: علاقة وسطية الامة بقبلتها.

المطلب الثاني: معنى الوسطية في قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾. وبيان فضل أمة محمد ﷺ من خلال شهادتها على الناس.

المبحث الثاني: ما المقصود بالقبلة الأولى؟ وما الحكمة من تحولها، في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾؟

المطلب الأول: ما المقصود بالقبلة في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا القبلة التي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾؟

المطلب الثاني: ما المقصود بالعلم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾؟ ومن هم الذين انقلبوا على أعقابهم في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾؟

المطلب الثالث: على من يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾؟ وما المقصود بالإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾؟

المطلب الرابع: تحقق الاستجابة للرسول ﷺ في التوجه إلى المسجد الحرام. في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[١٤٤: البقرة].

وأسأل الله التوفيق والسداد والحمد لله رب العالمين.

أهمية البحث.

تبرز أهمية هذا البحث من خلال ما يأتي:

١- الحاجة إلى إبراز منهج الوسطية في الإسلام.

٢- الحاجة إلى بيان المفهوم الصحيح لوسطية الأمة الإسلامية، المتمثل في العدل والخيرية، لا في الذل والمهانة.

٣- الحاجة إلى بيان الحكمة من تحويل القبلة الشريفة.

مشكلة البحث.

١- ما مفهوم الوسطية في الإسلام؟

٢- ما الحكمة من تحويل القبلة؟

٣- ما نوع الشهادة من الناس ومن الرسول عند الله يوم القيامة كما ورد في الآية الكريمة؟

٤- ما القبلة الأولى للمسلمين؟

٥- ما موقف اليهود والمنافقين من أمر تحويل القبلة ؟

أهداف البحث.

١- بيان وتحليل مفهوم الوسطية في الإسلام.

٢- استنتاج فضل أمة محمد ﷺ من خلال شهادتها على الناس يوم القيامة.

٣- بيان الرأي الراجح في نسخ القبلة هل حصل مرة أو مرتين.

٤- استنباط الحكمة من تحويل القبلة، وبيان موقف اليهود المعادي للإسلام والمسلمين منذ بداية الدعوة الإسلامية.

الدراسات السابقة.

لم أجد في حدود اطلاعي من أفرد هذه الآيات بالبحث، من الباحثين المعاصرين؛ ولكن الحديث عن هذه الآيات وعن الوسطية بشكل عام قد عجّت به كتب التفسير وغيرها، ومن الأبحاث التي عالجت موضوع الوسطية بحث: "الوسط ومظاهر الوسطية في القرآن الكريم" الحسن بن خلوي بن حسن الموكلي. تحدث الباحث في هذا البحث عن أمور عدة:

١- مفهوم الوسطية.

٢- تفسير لفظ الوسط وما تفرع عنه في القرآن الكريم.

٣- مظاهر الوسطية.

وهذا البحث من الأبحاث القيّمة في هذا الموضوع، أما عن بحثي فيتميز بأنه خاص في تحليل وبيان آيات سورة البقرة فقط.

ولا يتسع المقام لذكر الدراسات التي تناولت الحديث عن وسطية الإسلام.

المبحث الأول:
وسطية هذه الأمة وشهادتها على الأمم، وعلاقة الوسطية بقبلة الأمة.

إنّ وسطية الأمّة الإسلامية نابعة من خيريتها، يقول تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[١١٠: آل عمران]. وفي هذا المبحث سيعرض الباحث لأهم معالم وسطية هذه الأمة من خلال شهادتها على الناس يوم القيامة، وشهادة الرسول ﷺ عليها، وبيان وجه التناسب بين وسطية الأمّة وقبلتها، وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطالب عدة، وكان ذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: علاقة وسطية الأمة بقبلتها.

تتضح العلاقة بين وسطية الأمة وقبلتها من خلال التناسب بين الآيتين من قوله تعالى: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[١٤٢: البقرة]، **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[١٤٣:البقرة].

حيث بدأ سياق هذه الآيات ببيان حال السفهاء الذين عابوا على المؤمنين تحولهم عن قبلهم. يقول تعالى: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [١٤٢: البقرة].

والسفهاء هم اليهود وأهل النفاق. وإنما سماهم الله ﷻ "سفهاء"؛ لأنهم سفهوا الحق، فتجاهلت أحبار اليهود، وتعاظمت جهالهم وأهل الغباء منهم، عن اتباع محمد ﷺ، فتأويل الكلام سيقول السفهاء من الناس لكم، أيها المؤمنون بالله ورسوله، إذا حولتم وجوهكم عن قبلة اليهود التي كانت لكم قبلة أي شيء حول وجوه هؤلاء، فصرفها عن الموضع الذي كانوا يستقبلونه بوجوههم في صلاتهم؟

فأعلم الله –جل ثناؤه– نبيه ﷺ، ما اليهود والمنافقون قائلون من القول عند تحويل قبلته وقبلة أصحابه عن الشام إلى المسجد الحرام، وعلمه ما ينبغي أن يكون من رده عليهم من الجواب. فقال له: إذا قالوا ذلك لك يا محمد، فقل لهم: "لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"(٤).

استطرد المفسرون في ذكر وجه التناسب بين الآيتين، من خلال بيان خيرية هذه الأمة المعبر عنها بالوسطية، ويعود ذلك إلى دلالة اسم الإشارة (كذلك) في قوله تعالى: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾**.

قال أبو جعفر –رحمه الله–: "يعني جل ثناؤه بقوله: "وكذلك جَعلناكم أمة وسطًا"، كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد

ﷺ وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقِبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضَّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا"(٥).

وبهذا القول قال ابن كثير –رحمه الله–، غير أنه لم يشر إلى أمر الهداية كما أشار إليه أبو جعفر(٦).

قال صاحب "الكشاف "وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ" ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم أُمَّةً وَسَطاً خيارا، وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء. ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث""(٧).

وتنوعت أراء العلماء في شرح كلام الزمخشري السابق، فقال البيضاوي: "وكذلك (إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة أي: كما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل) جعلناكم أمة وسطا"(٨).

وقال الطيبي والقطب: إن الكاف فيه اسم بمعنى مثل منتصب على المفعولية المطلقة لجعلناكم أي: مثل الجعل العجيب جعلناكم فليس تشبيها، ولكنه تمثيل لحالة والمشار إليه ما يفهم من مضمون قوله: {يَهْدِي} وهو الأمر العجيب الشأن أي: الهدي التام.

وقال القزويني صاحب «الكشف»: بأن الكاف مقحمة كالزائدة لا تدل على تمثيل ولا تشبيه فيصير اسم الإشارة على هذا نائبا مناب مفعول مطلق لجعلناكم، كأنه قيل ذلك الجعل جعلناكم أي: فعدل عن المصدر إلى اسم إشارته النائب عنه لإفادة عجابة هذا الجعل بما مع اسم الإشارة من علامة البعد المتعين فيها لبعد المرتبة(٩).

ويقول ابن عاشور: "هذه الجملة معترضة بين جملة ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ**﴾[البقرة: ١٤٢]، وجملة ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ...**﴾ اعتراضية، وهي من قبيل الواو الاستئنافية، فالآية السابقة لما أشارت إلى أن الذين هدوا إلى صراط مستقيم هم المسلمون وأن ذلك فضل لهم ناسب أن يستطرد لذكر فضيلة أخرى لهم هي خير مما تقدم وهي فضيلة كون المسلمين عدولا خيارا ليشهدوا على الأمم؛ لأن الآيات الواقعة بعدها هي في ذكر أمر القبلة وهذه الآية لا تتعلق بأمر القبلة"(١٠). من خلال ما سبق يتبن لنا قوة الارتباط بين الآيتين، والعلاقة الوثيقة بين وسطية هذه الأمة وقبلتها، وسيأتي الحديث في المبحث الثاني عن أمر تحول القبلة مفصلاً.

المطلب الثاني: معنى الوسطية في قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾. وبيان فضل أمة محمد ﷺ من خلال شهادتها على الناس.

إن وسطية الأمة الإسلامية بمفهومها القرآني تختلف عن مفهوم الوسطية في العصر الحديث؛ لذلك ينبغي أن نتعرف على الفرق بينهما من خلال هذا المطلب على النحو الآتي:

أولاً: مفهوم الوسطية في الإسلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾.

اختلف أهل التأويل في تفسير معنى الوسط في هذه الآية. يقول الإمام الطبري –رحمه الله–: "جاء بأن "الوسط" العدلُ. وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيارَ من الناس عُدو لهم"(١١).

وقد جمع الإمام الفخر الرازي الأقوال فيها على النحو الآتي:

١- إن الوسط هو: العدل، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَوْسَطُهُمْ**﴾[القلم: ٢٨] أي: أعدلهم.

٢- إن الوسط من كل شيء: خياره.

٣- إن الرجل إذا قال: فلان أوسطنا نسباً فالمعنى: أنه أكثر فضلا وهذا وسط فيهم كواسطة.

٤- يجوز أن يكونوا وسطاً على معنى أنهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في الأشياء؛ لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى، فجعلوا ابناً وإلهاً ولا قصروا كتقصير اليهود في قتل الأنبياء وتبديل الكتب، وغير ذلك مما قصروا فيه.

ورجح الإمام الرازي من هذه الأقوال القول الثاني لوجهين. الأول: أن لفظ الوسط يستعمل في الجامدات قال صاحب «الكشاف»: اكتريت جملا من أعرابي بمكة للحج فقال: أعطى من سطا تهنة أراد من خيار الدنانير ووصف العدالة لا يوجد في الجمادات فكان هذا التفسير أولى. الثاني: أنه مطابق لقوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس(١٢).

وقال أبو حيان: "الوسط: اسم لما بين الطرفين وصف به، فأطلق على الخيار من الشيء؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل، ولكونه اسما كان للواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد"(١٣).

فإذا نظرنا في هذه الأقوال نجد أنها ترجع إلى معنيين وهما: (العدالة والخيرية).

وهو المعنى المراد من دلالة السياق في قوله: **﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**. وهو ما توافق مع تأويل الإمام الطبري السابق.

ثانياً: الوسطية بمفهوم العصر الحديث.

إن الوسطية بمفهوم العصر الحديث تعني: الأخذ بالأيسر أو ما يتوافق مع متطلبات العصر، أو هو محاولة للتوفيق بين الحداثة والأصالة على حساب مبادئ الإسلام. وقد ألصقوا مصطلح الاعتدال بحقيقة الوسطية في الإسلام، ويعنون بالاعتدال التوسط بين الجيد والرديء.

وبمعنى آخر هي: التنازل والتساهل، بل والمداهنة أحياناً حيث يختارون الأمر بين الخير والشر، وهو إلى الشر أقرب في حقيقته ومآله، "وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً"[الكهف: ١٠٤](١٤).

إذا نظرنا في هذا المعنى للوسطية، وجدنا أنه مخالف لحقيقة الوسطية التي قررها القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[١٤٣: البقرة].

فليس المقصود من الوسطية في الإسلام أنها نقطة تحول بين طرفين أو وسطية جزئية كما يقال: فلان وسط في كرمه، أي: ليس بالكريم ولا بالبخيل، أو وسط في دراسته، ويراد: أنه وسط بين الجيد والرديء، فهذا المفهوم ناقص مجتزأ، أدى إلى إساءة فهم معنى الوسطية في الإسلام وبشكل عام(١٥).

فالخلاصة في التعبير عن حقيقة الوسطية في الإسلام أنها تعني: الخيرية، سواء أكانت خير الخيرين، أو خيراً بين شرين، أو خيراً بين أمرين متفاوتين(١٦).

ومن الفضائل التي دعا إليها الإسلام والتي تعد وسطاً بين الإفراط والتفريط: (الحكمة، والشجاعة، والعفة).

فالحكمة هي: وسط بين الإفراط في استعمال الفكر فيما لا ينبغي كالمتشابهات وعلى وجه لا ينبغي كمخالفة الشرائع نعوذ بالله تعالى من علم لا ينفع، وتفريطها الغباوة التي هي تعطيل القوة الفكرية بالإرادة والوقوف عن اكتساب العلوم النافعة.

والشجاعة: وسط بين التهور والجبن.

والعفة هي: قوة الشهوة بين الفجور والخمود. فإذا امتزجت الفضائل الثلاثة: (الحكمة والشجاعة والعفة) حصلت من امتزاجها

حالة متشابهة هي العدالة، فبهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوساطة(١٧).

ثالثاً: بيان فضل أمة محمد ﷺ من خلال شهادتها على الناس في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

جاء في معنى الشهادة في هذه الآية أن أمّة محمد ﷺ تأتي يوم القيامة تشهد لأنبياء الله ورسله على أممها بالبلاغ، وكذلك يشهد محمد ﷺ على هذه الأمة بإيمانها به وبما جاء به من عند الله(١٨).

وقد ورد في الحديث عن أبي سعيد ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والوسط العدل"(١٩).

وقد يتوهم من خلال ما سبق أو يقول قائل: كيف يطلب الله تعالى من أنبيائه البينة وأن يأتوا بالشهداء على أنهم قد بلغوا رسالة ربهم وهو –سبحانه– أعلم بحالهم؟ والجواب إن هذه الشهادة من باب إقامة الحجة على الجاحدين ويجلي لنا هذا المعنى الإمام الراغب الأصفهاني فبين –رحمه الله– وجه شهادة النبي ﷺ على الأمة وشهادة الأمة على الناس. فالشاهد هو العالم بالشيء المخبر عنه مثبتاً حكمه، وأعظم شاهد من ثبت شهادته بحجة، ولما خص الله تعالى الْإِنْسَانْ بالعقل، والتمييز بين الخير والشر، وكمله ببعثة الأنبياء، وخصّ هذا الأمة بأتم كتاب، فأفادناه ﷺ وبينه لنا – صار حجة وشاهداً أن يقولوا: **﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ﴾**[المائدة: ١٩]. وجعل أمته، المتخصصة بمعرفته، شهوداً على سائر الناس(٢٠).

ويبين لنا الإمام الشنقيطي أن الشهادة في هذه الآية تكون في الآخرة فيقول: "لم يبين هنا هل هو شهيد عليهم في الدنيا أو الآخرة؟ ولكنه بين في موضع آخر أنه شهيد عليهم في الآخرة، وذلك في قوله: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هؤلاء شَهِيداً يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرسول لَوْ تسوى بِهِمُ الأرض وَلاَ يَكْتُمُونَ الله حَدِيثا﴾**[النساء: ٤١-٤٢](٢١).

المبحث الثاني:

ما المقصود بالقبلة الأولى؟ وما الحكمة من تحولها، في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾؟

سنتعرف في هذا المبحث على القول الراجح من أقوال أهل العلم من المراد بالقبلة في الآية الكريمة، هل هي الكعبة المشرفة أم المسجد الأقصى؟ وسأعرض لمعنى العلم في قوله تعالى: **﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾**، وسنتعرف أيضا على من وقع الاختبار والابتلاء في هذه الآية، وما المقصود من الكبيرة في قوله تعالى: **﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾**؟ وما المقصود بالإيمان في قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾**؟ ثم نختم المبحث ببيان معنى الرأفة والرحمة، وسأقسم الحديث عن ذلك إلى مطالب عدة على النحو الآتي:

المطلب الأول: ما المقصود بالقبلة في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا القبلة التي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾؟

اختلف أهل التأويل في تحديد المراد من القبلة في الآية الكريمة، ويدور الخلاف بينهم حول تحديد المقصود من قوله: (التي كنت عليها). هل المسجد الاقصى، أم الكعبة المشرفة؟ فإذا كان المراد منها الكعبة المشرفة، فيكون النسخ للقبلة وقع

مرتين: الأولى: من الكعبة إلى المسجد الأقصى، والثانية: من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة. مع وجود احتمال آخر بأن النسخ وقع مرة واحدة فيكون المعنى: "جعلنا القبلة التي أنت عليها الآن" وهي الكعبة، وإذا كان المراد منها المسجد الأقصى فإن النسخ وقع مرة واحدة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة، مع عدم وجود احتمال آخر.

الرأي الأول: إن المقصود من قوله: (التي كنت عليها). هو: المسجد الأقصى، وهذا ما عليه الجمهور من المفسرين من المدرسة الأثرية، ووافقهم عليه ابن عاشور في التحرير والتنوير.

يقول الإمام الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله: "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها"، ولم نجعل صرفك عن القبلة التي كنت على التوجه إليها يا محمد فصرفناك عنها، إلا لنعلم من يتبعك ممن لا يتبعك، ممن ينقلب على عقبيه.

والقبلة التي كان رسول الله ﷺ عليها، التي عناها الله بقوله: "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها"، هي القبلة التي كنت تتوجه إليها قبل أن يصرفك إلى الكعبة"(٢٢).

كلام الطبري –رحمه الله– يفيد: أنه يوجد حذف للمضاف وهو: لفظ التوجه والمعنى وما صرفناك عن القبلة التي كنت على التوجه إليها، وهي المسجد الأقصى.

ويقول الشوكاني –رحمه الله–: "وما جعلنا القبلة التي أنت عليها الآن بعد أن كانت إلى بيت المقدس إلا لذلك الغرض، ويكون { كُنتَ } بمعنى الحال(٢٣).

ومن الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا الرأي ما يأتي:

عن البراء ﷺ: «أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى، أو صلاها، صلاة العصر وصلى معه قوم» فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله، لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا، لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**(٢٤).

هذا الحديث يدل على أن تاريخ نزول قوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلْنَا القبلة التي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾** كان بعد الأمر بالتحول الى الكعبة المشرفة.

قال ابن العربي: "اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس"(٢٥).

ومن أدلتهم حديث ابن عباس الذي أخرجه الإمام أحمد قال: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: " كان رسول الله ﷺ يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرا، ثم صرف إلى الكعبة"(٢٦).

ويؤكد ابن عاشور –رحمه الله– على هذا الرأي ويلتمس له دليلاً من اللغة، فيبين: أن الواو في قوله تعالى: "وما جعلنا القبلة" هي واو العطف على جملة: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾**[البقرة: ١٤٢] وما اتصل بها من الجواب بقوله: قل لله المشرق والمغرب قصد به بيان الحكمة من شرع استقبال بيت المقدس ثم تحويل ذلك إلى شرع استقبال الكعبة، وما بين الجملتين من قوله: وكذلك جعلناكم أمة وسطا إلى آخرها اعتراض.

والجعل هنا جعل التشريع لأن مفعوله من شؤون التعبد فهو متعد إلى مفعول واحد؛ لأنه بمعنى شرعنا، فهذه الآيات نزلت بعد الأمر بالتوجه إلى الكعبة، فيكون المراد بيت المقدس(٢٧).

وخلاصة القول لأصحاب هذا الرأي: أن القبلة الأولى هي: المسجد الأقصى، وأن النسخ للقبلة لم يقع إلا مرة واحدة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

القول الثاني: إن المقصود من قوله: (التي كنت عليها). هو: المسجد الحرام. وهو رأي الأغلبية من مدرسة أهل الرأي في التفسير، ووافقهم عليه سيد قطب.

يبين الإمام الزمخشري أن المراد من القبلة في قوله تعالى: "**﴿وَمَا جَعَلْنَا القبلة﴾** أنها الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة، وجاء بدليل على ذلك بأن الرسول اللَّه ﷺ كان يصلى بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود[٢٨]، ثم حوّل إلى الكعبة فيقول: وما جعلنا القبلة التي تجب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة، يعنى: وما رددناك إليها إلا امتحانا للناس وابتلاء. ثم جوز أن يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته. يعني: أنّ أصل أمرك أن تستقبل الكعبة، وأن استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض. وإنما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا –وهي بيت المقدس، لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه[٢٩].

وتابعه على ذلك الإمام الرازي، وذكر وجها ثالثا للحكمة من تحويل القبلة فقال: "ذكر أبو مسلم فقال: لولا الروايات لم تدل الآية على قبلة من قبل الرسول –عليه الصلاة والسلام– عليها؛ لأنه قد يقال: كنت بمعنى صرت كقوله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾**[آل عمران: ١١٠] وقد يقال: كان في معنى لم يزل كقوله تعالى: **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾**[النساء: ١٥٨] فلا يمتنع أن يراد بقوله: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي: التي لم تزل عليها وهي الكعبة إلا كذا وكذا"[٣٠].

وذكر الإمام القرطبي في تفسيره الرأيين، ورجح أن القبلة الأولى هي الكعبة، ولم يذكر على ذلك دليلاً[٣١].

وتابعهم على ذلك الإمام أبو السعود، وبين أن المراد بالموصول هي الكعبة فإنه –عليه الصلاة والسلام– كان يصلي إليها أولا ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفا لليهود أو هي الصخرة لما روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– من أن قبلته ﷺ بمكة كانت بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن أن يراد بالقبلة الأولى الكعبة، وأما الصخرة فيتأتى إرادتها على الروايتين والمعنى على الأول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها آثر ذي أثير وهي الكعبة وعلى الثاني، وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة[٣٢].

أما سيد قطب –رحمه الله–، فبين: أن القبلة كانت إلى الكعبة المشرفة وأراد الله تعالى أن يخلص المسلمين من رواسب الجاهلية فصرف القبلة إلى الأقصى، حتى إذا استسلم المسلمون، واتجهوا إلى القبلة التي وجههم إليها الرسول ﷺ وفي الوقت ذاته بدأ اليهود يتخذون من هذا الوضع حجة لهم، صدر الأمر الإلهي الكريم بالاتجاه إلى المسجد الحرام[٣٣].

ويرى الباحث أننا إذا نظرنا في أدلة الفريقين نجد أن الراجح من ذلك هو رأي الفريق الأول الذي يثبت بأن القبلة الأولى هي المسجد الأقصى، وأن النسخ لم يقع إلا مرة واحدة؛ وذلك لأمورٍ عدة نذكرها على النحو الآتي:

أولاً: من ناحية الروايات. نجد أن الفريق الأول لديه روايات صحيحة الإسناد في إثبات أن النبي ﷺ استقبل الصخرة وهو في مكة.

١- رواية ابن عباس قال: "كان رسول الله ﷺ يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرا، ثم صرف إلى الكعبة" وقد سبق تخريجها.

٢- الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره والذي يبين بأن الآية الكريمة نزلت بعد التحول إلى القبلة، وهذا يؤيد بأن المعني في الآية هي الصخرة.

أما الفريق الثاني فلم يكن لديهم من الروايات التي تساندهم إلا رواية واحدة لم تصح وهي: بأن الرسول اللَّه ﷺ كان يصلى بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود.

فكيف يتألف النبي ﷺ أعداء الله تعالى في أمر عظيم كهذا الأمر! وهو يعلم علم اليقين أن الهداية بيد الله تعالى. ومعلوم أن التألف في الإسلام كان من المسلمين إلى المسلمين ضعاف الإيمان، ولقد كان هذا التألف في الأمور الدنيوية من خلال إعطائهم سهماً من الزكاة، ولم يكن في أمر من أمور الآخرة كهذا الأمر العظيم، وإذا سلمنا أن القبلة الأولى هي الكعبة، فهل يعقل أن النبي ﷺ أراد أن يتألف قلوب اليهود ودعا الله تعالى بأن يغير هذه القبلة التي يجتمع عليها المسلمون، ويعظمونها، ويحجّون إليها، وهي أول بيت وضع للناس، من أجل اليهود، ولقد أخبر -سبحانه- بأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا.

ثانياً: من الناحية اللغوية. فإن لكل فريق تأويله الذي يراه صحيحاً، ولكن إذا دققنا النظر في تأويل الفريق الثاني نجد أنهم استأنسوا بالأثر الذي لا يصح.

أما الفريق الأول: فإنهم استندوا في تأويلهم إلى رواية ابن عباس وهي صحيحة الإسناد. والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: ما المقصود بالعلم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾؟ ومن هم الذين انقلبوا على أعقابهم في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾؟

أولاً: ما المقصود بالعلم في قوله تعالى: ﴿إلا لنعلم﴾؟

ذكر أهل التفسير في معنى هذه الجملة تأويلات عدة، ومن أظهرها ما يأتي:

١- معنى قوله "لنعلم" أي: ليعلم رسول الله -عليه الصلاة والسلام- والمؤمنون، وإنما أسند علمهم إلى ذاته؛ لأنهم خواصه. وهو الذي اختاره الإمام الطبري وذكر وجهين آخرين، وقدم الأول عليهما قال: إلا لنبين لكم أنا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. وهذا، وإن كان وجها له مخرج، فبعيد من المفهوم. وقال آخرون: إنما قيل: {إلا لنعلم} وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال على وجه الترفق بعباده، واستمالتهم إلى طاعته، كما قال جل ثناؤه: ﴿**قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[سبأ: ٢٤] وقد علم أنه على هدى وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب[٣٤].

٢- لنعلمه علما يتعلق به الجزاء، وهو أن يعلمه موجوداً حاصلا ونحوه: ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ وقيل: معناه لتميز التابع من الناكص، كما قال: ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ فوضع العلم موضع التمييز؛ لأنّ العلم به يقع التمييز به. وهو قول الإمام الزمخشري[٣٥].

وهذه التأويلات من أهل التفسير إنما جاءت لدفع الوهم الحاصل من خلال الفهم الظاهري للآية الكريمة، الذي يوضحه لنا الإمام الشنقيطي -رحمه الله تعالى- حيث يقول: "ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، ﷻ عن ذلك علوًّا كبيراً، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون. وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله -جل وعلا-: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ واللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور**﴾[آل عمران: ١٥٤]، فقوله: ﴿**واللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور**﴾ بعد قوله: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ**﴾ دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئاً لم يكن عالماً به، ﷻ عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي

يذكر الله فيها اختباره لخلقه. ومعنى ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ﴾ أي: علماً يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالماً به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس"[٣٦].

ويرى الباحث أنه يمكن الاستفادة من قول الإمام الشنقيطي السابق في الجمع بين رأي الإمام الطبري والإمام الزمخشري على النحو الآتي: أي ليعلم الله علماً يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالماً به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس من أولياء الله ورسله.

ثانياً: من هم الذين انقلبوا على أعقابهم في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾؟

السؤال الذي يرد على هذه الجملة، من هم الذين انقلبوا على أعقابهم، أهم المسلمون أم اليهود؟ وما هو سبب الانقلاب أو الردة؟ أهو تحويل القبلة أم تعيينها؟

أما الذين انقلبوا أو ارتدوا، بناءً على القول الذي رجحناه بأن النسخ للقبلة حصل مرة واحده، فتكون الردة قد حصلت مرة واحدة وأصحابها هم اليهود وجماعة من المسلمين. وقد أورد الإمام الطبري روايات تدل على ذلك ومنها ما رواه عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[البقرة: ١٤٣] فقال عطاء: «يبتليهم ليعلم من يسلم لأمره» قال ابن جريج: بلغني أن ناسا ممن أسلم رجعوا فقالوا مرة: هاهنا ومرة هاهنا[٣٧].

ويجيبنا الفخر الرازي عن الشق الثاني من السؤال بقوله: "اختلفوا في أن هذه المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة أو بسبب تحويلها" على أقوال.

القول الأول: إنما حصلت بسبب تعيين القبلة؛ لأنه –عليه الصلاة والسلام– كان يصلي إلى الكعبة، فلما جاء المدينة صلى إلى بيت المقدس، فشق ذلك على العرب من حيث إنه ترك قبلتهم، ثم إنه لما حوله مرة أخرى إلى الكعبة شق ذلك على اليهود من حيث إنه ترك قبلتهم.

القول الثاني: وهم الأكثرون من أهل التحقيق قالوا: هذه المحنة إنما حصلت بسبب التحويل فإنهم قالوا: إن محمداً ﷺ لو كان على يقين من أمره لما تغير رأيه، روى القفال عن ابن جريج أنه قال: بلغني أنه رجع ناس ممن أسلم، وقالوا: مرة هاهنا ومرة هاهنا، وقال السدي: لما توجه النبي –عليه الصلاة والسلام– نحو المسجد الحرام اختلف الناس فقال المنافقون: ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها، وقال المسلمون: لسنا نعلم حال إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس، وقال آخرون: اشتاق إلى بلد أبيه ومولده، وقال المشركون: تحير في دينه.

وقال الفخر: "واعلم أن هذا القول الأخير أولى؛ لأن الشبهة في أمر النسخ أعظم من الشبهة الحاصلة بسبب تعيين القبلة، وقد وصفها اللّه تعالى بالكبيرة فقال: ﴿وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ فكان حمله عليه أولى"[٣٨].

المطلب الثالث: على من يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾؟ وما المقصود بالإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾؟

أولاً: على من يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾؟

ذكر الإمام الطبري الخلاف في تأويل هذه الجملة على ثلاثة أقوال:

١- قال بعضهم: عنى جل ثناؤه ب"الكبيرة"، التوليةُ من بيت المقدس شطرَ المسجد الحرام والتحويلُ. وإنما أنَّث "الكبيرة"، لتأنيث "التولية".

٢- قال آخرون: بل "الكبيرة"، هي القبلة بعينها التي كان ﷺ يتوجَّه إليها من بيت المقدس قبلَ التحويل.

٣- وقال بعضهم: بل "الكبيرة" هي الصلاة التي كانوا يصلّونها إلى القبلة الأولى.

ثم رجح الرأي الأول فقال: "وهذا التأويل أولى التأويلات عندي بالصواب؛ لأن القوم إنما كبُر عليهم تحويل النبي ﷺ وَجْهه عن القبلة الأولى إلى الأخرى، لا عين القبلة، ولا الصلاة؛ لأن القبلة الأولى والصلاة، قد كانت وهي غير كبيرة عليهم. إلا أن يوجِّه موجِّه تأنيث "الكبيرة" إلى "القبلة"، ويقول: اجتُزئ بذكر "القبلة" من ذكر "التولية والتحويلة"، لدلالة الكلام على معنى ذلك، كما قد وصفنا لك في نظائره. فيكون ذلك وجهًا صحيحًا، ومذهبًا مفهومًا"[٣٩].

ويعضد ترجيح الإمام الطبري للوجه الأول ما أورده في بيان سبب نزول قوله تعالى: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ...﴾**. ومن ذلك ما رواه من طريق ابن عباس والسدي بأن: "السفهاء هم الكفار وأهل النفاق واليهود أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة: رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا فإنه علم أنا على الحق، وأما أهل النفاق فقالوا: إن كان أولا على الحق فالذي انتقل إليه باطل وكذلك بالعكس، وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبيا لما خالف فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أنزلت هذه الآيات من قوله تعالى ما ننسخ من آية، إلى قوله تعالى: فلا تخشوهم واخشوني" وصحح ابن حجر هذه الروايات[٤٠].

موضع الشاهد في هذه الروايات أن الاعتراض من السفهاء يتعلق بأمر تحويل القبلة، لا بعينها.

ثانياً: ما المقصود بالإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾؟

أوّل أهل التفسير معنى إيمانكم إلى قولين:

القول الأول: إن المقصود بالإيمان هو الصلاة. قاله الجمهور، ومن أدلتهم على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن البراء ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى أو صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**"[٤١]، وروى الطبري قال: "حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع وعبيد الله -وحدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبيد الله بن موسى- جميعا، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال، لما وجه رسوله الله ﷺ إلى الكعبة قالوا: كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك، وهم يصلون نحو بيت المقدس؟ فأنزل الله جل ثناؤه: "وما كان الله ليضيع إيمانكم"[٤٢].

هذا الأدلة تصرح بأن الآية نزلت لتجيب عن سؤال الصحابة ﷺ، عن صلاة إخوانهم الذي ماتوا قبل التحول إلى الكعبة. ويبين الإمام النسفي أن الصلاة سميت في الآية بالإيمان؛ لأن وجوبها على أهل الإيمان، وقبولها من أهل الإيمان، وأداؤها في الجماعة دليل الإيمان[٤٣].

ويقول الإمام القاسمي: "وإنما عدل إلى لفظ الإيمان، الذي هو عام في الصلاة وغيرها، ليفيدهم أنه لم يضع شيئاً مما عملوه، ثم يصح عنهم، فيندرج المسؤول عنه اندراجاً أوليا، ويكون الحكم كلياً"[٤٤].

القول الثاني: إن الكلمة تبقى على ظاهرها فالإيمان هو الإيمان.

وبهذا القول جزم الإمام محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا، يقول محمد عبده: "إن سياق الآية بل الآيات يدل على أن الإيمان هنا مستعمل في معناه، فإنه لما بين أمر الفتنة في تحويل القبلة وبين أن من الناس من ينقلب إلى الكفر ويترك الإيمان، ومنهم من يثبت على إيمانه عالما أن الاعتقاد في مثل مسألة القبلة على اتباع الرسول؛ لأن الجهات في نفسها متساوية لا فضل لجهة منها على جهة، بشر هؤلاء المؤمنين المتبعين بأنهم يجزون على إيمانهم الجزاء الأوفى، فلا يضيع الله أجرهم، ولا يلتهم من ثباتهم على اتباع الرسول شيئا.

ويبين محمد رشيد: أن تسمية الصلاة على هذا إيمانا ليس؛ لأنها أعظم أركان الدين، كما قال ابن عاشور وغيره – بل للإشارة إلى أن مزيتها في منشئها الباعث عليها من الإيمان والإخلاص، ولذلك يقرن الإيمان دائما بذكر الصلاة والزكاة، فالصلاة آية الإيمان القلبية الخفية؛ لأنها لا تكون آية إلا بإخلاص القلب، والزكاة هي الدليل الحسي الظاهر عليه، وقد يغش الجاهل نفسه بالصلاة فيتوهم أنه أقامها كما أمر الله إذا أدى هذه الأعمال الظاهرة التي هي صورتها وإن كانت هذه الصورة خالية من روح الإخلاص والتوجه القلبي إلى الله تعالى، ولكن الزكاة آية حسية على الإيمان لا يقدر أن يغش نفسه بها إنسان، فليحاسب كل مؤمن بالله وكتابه نفسه[٤٥].

ويرى الباحث أن الراجح هو: رأي الفريق الأول؛ وذلك لصريح الحديث الصحيح الذي ورد في سبب النزول.

وختمت الآية الكريمة بالفاصلة القرآنية التي تعلل ما قبلها: **﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** يقول الإمام الطبري: "و"الرأفة"، أعلى مَعاني الرحمة، وهي عَامَّة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة. وأما "الرحيم": فإنه ذو الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة". وإنما أراد جل ثناؤه بذلك أنّ الله ﷻ أرْحمُ بعباده منْ أن يُضيع لهم طاعةً أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها، وأرأفُ بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم"[٤٦].

أما تقديم الرأفة على الرحمة فهو من باب تقديم الخاص على العام فاستخلص القفال من ذلك أن قال: الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضر كقوله تعالى: **﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾**[النور: ٢]، وأما الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام[٤٧].

ويقول أبو السعود: "وقيل: الرحمة أكثرُ من الرأفة في الكمية والرأفةُ أقوى منها في الكيفية؛ لأنها عبارة عن إيصال النعم الصافية من الآلام، والرحمةُ إيصالُ النعمة مطلقاً وقد يكون مع الألم كقطعِ العضوِ المتآكل"[٤٨].

المطلب الرابع: تحقق الاستجابة للرسول ﷺ في التوجه إلى المسجد الحرام. في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[١٤٤: البقرة].

تحقق من خلال هذه الآية الكريمة للنبي ﷺ ما كان يرجو من أمر تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، فإن النبي ﷺ كان يحب أن تكون وجهته إلى المسجد الحرام، روى الطبري بسنده عن قتادة في قوله: "قد نرى تقلب وجهك في السماء" قال: "كان ﷺ يقلب وجهه في السماء، يحب أن يصرفه الله ﷻ إلى الكعبة، حتى صرفه الله إليها"[٤٩].

ومعنى تقلب الوجه في السماء كما يرى الإمام ابن عطية بأن المقصد تقلب البصر، وذكر الوجه؛ لأنه أعم وأشرف، وهو المستعمل في طلب الرغائب، تقول: بذلت وجهي في كذا، وفعلت لوجه فلان[٥٠].

وهذه الآية تصف لنا خلق النبي ﷺ في أدبه مع الله تعالى، يقول الإمام القشيري: "حيث سكت بلسانه عن سؤال ما تمنّاه من أمر القبلة بقلبه، فلاحظ السماء؛ لأنها طريق جبريل ﷺ، فأنزل الله ﷻ: «قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ» أي:

علمنا سؤلك عمّا لم تفصح عنه بلسان الدعاء، فلقد غيّرنا القبلة لأجلك، وهذه غاية ما يفعل الحبيب لأجل الحبيب"[٥١].

فجاء الأمر من الله تعالى بصرف القبلة إلى المسجد الحرام بقوله: "«فولّ وجهك شطر المسجد الحرام»، حكى الإمام القرطبي إجماع أهل العلم أن الكعبة قبلة في كل أفق، وأجمعوا على أن من شاهدها وعاينها فرض عليه استقبالها، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له، وعليه إعادة كل ما صلى ذكره أبو عمر. وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها، فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك مما يمكن أن يستدل به على ناحيتها[٥٢].

ختمت هذ الآية ببيان حال أهل الكتاب، اليهود والنصارى في إنكار ما علموه من صدق ما جاء به النبي ﷺ، ومن أمر تحويل القبلة، فقال تعالى: **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾**. وفي ذلك وعد ووعيد للفريقين وعد لفريق المؤمنين ووعيد لأهل الكتاب والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة[٥٣].

الخاتمة.

في خاتمة هذا البحث أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في عرض هذه القضايا العلمية التي احتوت عليها هذه الآية العظيمة، التي جمعت من الفوائد والمعارف ما لا يحصى، وهذا هو دأب القرآن الكريم الذي لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي فوائده.

ومن أهم النتائج التي اتضحت من خلال هذا البحث ما يأتي:

١- إن وسطية الإسلام لا تعني المرحلة الوسط بين الجيد والرديء، بل هي اختيار الفضائل من كل شيء، كالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، وكالكرم وسط بين البخل والتبذير.

٢- إن الحكمة من تحويل القبلة إنما كانت من أجل إكرام النبي ﷺ كما في قوله تعالى: **﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾** وفيها أيضا كشف لليهود والمنافقين على حقيقتهم، وابتلاء للمؤمنين.

٣- من حكم تحويل القبلة بيان عظم العلاقة المقدسة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وبيان مكانتهما عند الله تعالى.

٤- إن الشهادة من أمة محمد ﷺ على الناس، ومنه ﷺ على أمته يوم القيامة جاءت؛ لإقامة الحجة على الجاحدين للتبليغ، وليس المقصود منها التحقق؛ لأن هذا منافٍ لعلم الله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

٥- إن اليهود كانوا وما زالوا أساس الإفساد في الأرض، من خلال تشكيك المسلمين في دينهم، والصد عن سبيل الله بشتى الأساليب والطرق.

<u>التوصيات</u>.

١- توجيه جهود طلبة العلم إلى التعمق في الدراسات التفسيرية، واستخلاص العبر والحكم لتفعيل المقصد الذي نزل القرآن الكريم من أجله، وهو هداية الناس.

٢- العمل على إبراز هوية الوسطية الإسلامية التي أرادها الله تعالى، والمتمثلة بالعدل والخيرية، لا بالذل والمهانة.

الهوامش.

(١) ينظر: البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، (د.ط)، القاهرة، ج٢، ص٢٠٦.

(٢) البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه صحيح البخاري**، كتاب الايمان، باب الصلاة من الإيمان، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط١)، ١٤٢٢هـ، رقم (٤٠)، ج١، ص١٧.

(٣) ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، ومجموعة من العلماء، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، (ط١)، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج١، ص١٨١.

(٤) ينظر: الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، مؤسسة الرسالة، (ط١)، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج٣، ص١٢٩ و ١٣١.

(٥) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٣، ص١٤٣.

(٦) ينظر: ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٢)، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج١، ص٤٥٤.

(٧) الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط٣)، ١٤٠٧هـ، ج١، ص١٩٧.

(٨) البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **تفسير البيضاوي**، دار الفكر – بيروت، (د.ط)، ج١، ص٤١٥.

(٩) ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد »**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، (د.ط)، ج٢، ص١٦.

(١٠) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص١٥. وله تفصيل في المسألة يطول ذكره، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليه.

(١١) الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص١٤٢.

(١٢) ينظر: الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط٣)، ١٤٢٠هـ، ج٤، ص٨٥.

(١٣) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص٦.

(١٤) ينظر: العمر ناصر بن سليمان العمر، **الوسطية في ضوء القرآن**، ص٧٩-٨١.

(١٥) ينظر: الفرفور محمد عبد اللطيف، **الوسطية في الإسلام**، دار النفائس، (ط١)، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٢٧.

(١٦) ينظر: الصلابي علي محمود، **الوسطية في القرآن**، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، دار المعرفة، (د.ط)، ج١، ص٥٩.

(١٧) ينظر: التفتزاني سعد الدين مسعود بن عمر (ت ٧٩٣هـ)، **شرح التلويح على التوضيح**، مكتبة صبيح بمصر، (د.ط)، ج٢، ص٩٧.

(١٨) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص١٤٦.

(١٩) البخاري محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[نوح: ١] إلى آخر السورة، رقم: ٣٣٣٩، ج٤، ص١٦٣.

(٢٠) ينظر: الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، **تفسير الراغب**، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، (ط١)، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج١، ص٣٣١.

(٢١) الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (د.ط)، ج١، ص٤٦.

(٢٢) الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص١٥٥.

(٢٣) الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، (ط١)، ١٤١٤هـ، ج١، ص١٧٥.

(٢٤) البخاري محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب باب قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾، رقم (٤٤٨٦)، ج٦، ص٢١.

(٢٥) ابن العربي القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط٣)، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج١، ص٦٢.

(٢٦) ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، (ط٣)، ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م، مسند عبد الله ابن عباس، رقم: (٢٩٩١)، ج٥، ص١٣٦. يقول المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين. أبو عوانة: هو الوضاح بن عبد الله اليشكري. وأخرجه البزار (٤١٨- كشف الأستار) عن محمد بن المثنى، والطبراني (١١٠٦٦) من طريق عبد الله بن نمير، كلاهما عن يحيى بن حماد، بهذا الإسناد.

(٢٧) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص٢٢.

(٢٨) هذا الأثر لا أصل له في السنة.

(٢٩) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٢٠٠.

(٣٠) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٤، ص٨٩.

(٣١) ينظر: القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط٢)، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ج٢، ص١٥٠.

(٣٢) ينظر: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ط)، ج١، ص١٧٣.

(٣٣) قطب سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ج١، ص١٢٨.

(٣٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص١٥٩.

(٣٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٢٠٠.

(٣٦) الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج١، ص٧٠.

(٣٧) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢، ص٦٤١.

(٣٨) ينظر، الرازي، **مفاتح الغيب**، ج ٤، ص٩٠.

(٣٩) الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص١٦٥.

(٤٠) ينظر: ابن حجر أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج٨، ص١٧١.

(٤١) سبق تخريجه صفحة ١٦.

(٤٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص١٦٧. الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (٣٢٤٩) من رواية ابو كريب، قال أحمد شاكر: جاءت بسند صحيح.

(٤٣) ينظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (د.ط)، ج١، ص٨١.

(٤٤) القاسمي محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ج١، ص٤١٤.

(٤٥) ينظر: رضا محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، (د.ط)، ج٢، ص٩ و١٠.

(٤٦) الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص١٧١.

(٤٧) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص٢٥.

(٤٨) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج١، ص٢٢٠.

(٤٩) الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص١٧٢.

(٥٠) ينظر: ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٢٢١.

(٥١) القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، **لطائف الإشارات تفسير القشيري**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (ط٣)، ج١، ص١٣٩.

(٥٢) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص١٦٠.

(٥٣) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج١، ص١٧٥.